قواعد تربوية

رمضان ١٤٤٤

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الثلاثاء 13 رمضان

(سورة إبراهيم: 5)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله بلطفه تنكشف الشدائد، وبالتوكل عليه يندفع كيد كل كائد، نحمده سبحانه ونشكره ونسأله المزيد من فضله وكرمه، فبفضله ولطفه تتواصل النعم وجميع العوائد، ونشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له في كل شيء آية تدل على أنه واحد، ونشهد أن نبينا محمدا عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

بإذن الله نقف اليوم مع قاعدة من القواعد التربوية التي هي غاية في الأهمية لنا وللجيل القادم، **قاعدة تلفت نظرنا للاهتمام بصناعة الذاكرة**.

صناعة الذاكرة مهمة الآباء والأمهات، صناعة الذاكرة مهمة المصلحين والمصلحات، صناعة الذاكرة مهمة الإنسان تجاه نفسه لأن هذه الذاكرة التي يحملها الإنسان عن الأشياء سبب لأن يتصرف بالتصرف السليم إذا كانت الذاكرة سليمة، إذا كان المخبوء في الذاكرة طيب ونافع فيتوقع أن يكون السلوك سليمًا، أما إذا كان المخبوء في الذاكرة عن الأشياء باطل وسقيم فإنه يتوقع أن تكون هذه السلوكيات سقيمة بناء على الذاكرة الباطلة.

فمسؤولية الإنسان عن نفسه وعن من يربي أن يصنع لهم ذاكرة تحمل الحقائق وتجليها حتى يصلح فيما يستقبل من شأنه، وحتى يتذكر وينتفع

بتجارب غيره، وبما مر على الناس، وبما مر عليه هو أيضا، فيكون الإنسان في هذا الوقت، إذا استفاد مما مر على غيره ومما مر عليه، إذا استفاد وجعل هذه الذاكرة حية تنبض بالحقائق كانت النتيجة استقامة فيما يأتي، يستقيم في شأنه القادم، لذلك إذا عرفنا أن المطلوب منا أن نستقيم كما أُمرنا، وجب علينا أن نساعد أنفسنا على الاستقامة كما أُمرنا وألا نطغى بأن نصنع ذاكرة تبين لنا حال من استقام وحال من طغى.

ألم يأمرنا الله أن نستقيم (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا)؟ ألم ينهنا الله عز وجل عن أن نركن للذين ظلموا؟ بلى، أمرنا ونهانا، وكما مرّ معنا قول الحسن: الدين بين اللاءين، لا تطغوا، لا تركنوا. ماذا نفعل من أجل أن نقوي هذا المعنى؛ فنستقيم كما أمرنا ولا نطغى ولا نركن؟

نقوي ذاكرتنا ونمتثل أمر ربنا ونتعلم من التاريخ ماذا كان حال من استقاموا؟ ماذا كان حال من طغوا؟ ماذا كان حال من ركنوا إلى أهل الباطل؟ إلى الذين ظلموا؟ من نصر الباطل في وقت ما كان الباطل له جولة، ماذا حصل له لما أحق الله الحق وأزهق الباطل؟

كل هذا مهم لأهل الإيمان من أجل أن يحققوا استقامتهم، ويحققوا البعد عن الطغيان والبعد عن الركون للذين ظلموا، ولنسمع هذا في كلام الله، ولنرى هذه القاعدة التربوية التي هي غاية في الأهمية، نربي بها نفسنا ونربي بها من تحت أيدينا كما أخبرنا رب العالمين في **سورة إبراهيم** الآية الخامسة، نسمعها ثم نبدأ بإذن الله في الانتفاع منها وبيان القاعدة:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ).

كما سمعنا هذه الآية العظيمة، فيها خبر عن موسى عليه السلام، وإرساله لبني إسرائيل، وكان ملخص الغاية من رسالة موسى عليه السلام: أن يخرج قومه من الظلمات إلى النور، وهذا كما في مطلع سورة إبراهيم، نفس غاية إرسال نبينا محمد ﷺ (الر ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) فالغاية من إرسال الآيات والحجج وإنزال الكتاب على نبينا محمد ﷺ، هي نفسها الغاية من إرسال الآيات والكتاب والحجج على موسى عليه السلام، إخراج الناس من الظلمات إلى النور. وهذا أمر واضح، فالنور والظلمات ضدان، والناس بطبيعتهم يحبون النور ويكرهون الظلام، فرب العالمين يبين أن هذه هي الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب؛ أن يخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي والصراعات النفسية، والسقوط فيما يؤذي البدن والنفس من الأعمال، يخرجهم إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة والاستقامة التي يكون لها أثر على روح الإنسان وعلى بدنه، فبهذا أُرسلت الرسل ولهذا أُنزلت الكتب.

ويا له من شأن عظيم أن يرشدنا رب العالمين إلى ما فيه صلاحنا، وكم يكره الإنسان الظلام وكم يسقط وكم يتعثر وكم يتألم، وكم في النور يكون الإنسان سائر في راحة، فلنتفكر في هذا ولنعلم أن ولينا الله، (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) هذا كان الشأن الأول من إرسال موسى عليه السلام لقومه، أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، وكل الأنبياء هذه وظيفتهم.

وهذا التمثيل لموضوع الإيمان والكفر والطاعة والمعصية بالنور والظلمات، أمر يجب علينا أن نعيشه ويجب علينا أن نفكر فيه، وكلما دخلت مكانًا مظلمًا وأردت أن تسير، فوجدت صعوبات واصطدمت

بالأشياء وربما تألمت، تذكر أن هذه حال الروح لما تمشي بدون هدى، وفرق بين هذه الحال وبين حال لو كان النور مضاء، أو كنا في النهار، كيف يكون سيرنا يسير، وكيف نتفادى ونتحاشى الاصطدام ونتمكن من ذلك، فلا يوجد أمر أصعب على السائر من الظلمة، ولا مطلب أحسن للسائر من النور. هذا كان الشأن الأول.

ثم عطف رب العالمين عليه فقال: (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) وهنا الشاهد المراد.

أمر الله موسى عليه السلام بأن يذكر قومه بأيام الله. الله تعالى أمر موسى عليه السلام في هذا المقام بشيئين:

أحدهما أن يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية.

الأمر الثاني أن يـ(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ).

أولا نفهم ما هي أيام الله، ثم ننظر ما هي المصلحة في التذكير بأيام الله..

ما هي أيام الله؟

أول ما يتبادر إلى الذهن في إضافة أيام إلى الله، وكل الأيام أيام الله، لكن هذه الأيام خصت بالإضافة إلى الله لأن فيها ظهر من كمال الله، وعظمة الله، وقدرة الله، ورحمة الله، ولطف الله ما ظهر. في هذه الأيام يكون ظهر من كمال الله ما ظهر، وفهم الإنسان عن الله أشياء ما كان يفهمها فيما سبق. هنا تكون ميزة أيام الله؛ أيام الله هذه عبارة عن أيام حصلت فيها وقائع عظيمة ظهر فيها كمال الله، وفهم فيها الإنسان عن الله

شيء ربما كان يعرفه عن الله، لكن تحول إلى علم اليقين، أو ربما كان جاهلا عن الله فرأى هذه الآيات فعرفها وتيقن بها.

ماذا طُلب من موسى عليه السلام؟ طُلب منه أن يعظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد، بمعنى أن يذكرهم أن الله فعل بهؤلاء القوم كذا لما هم فعلوا كذا، فيذكرهم بأحداث قبلهم، أو أحداث هم مروا عليها وانتهت، فينظر الإنسان لما يوعظ بأيام الله، ينظر إلى القصة كاملة.

مثلا موسى عليه السلام، أُرسل إلى بني إسرائيل ليخرجهم من وطأة وظلم فرعون، وقضى زمنًا في مصر وهو يحاول إخراجهم، وفرعون يمانعه ويعارضه ويفعل ما يفعل به، وكما تسلط في أول القصة بالذبح على الأبناء الذكور، عاد وتسلط عليهم أيضا، فالذي ينظر إلى تلك الفترة التي كان فيها قوم موسى في كرب، يشعر كما شعر قوم موسى أن ما الفائدة من إرسالك؟ فلا يعظمون إرسال الله عز وجل لموسى، ولا يشعرون أن فرج الله قريب، فيواجهون موسى بهذا الكلام، ويقولون له: أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا! كأنهم يرون أنه بمجرد ما بعث إليهم المفروض مباشرة أن يخرجوا من هذا الذي حصل لهم، وحكمة الله تأبى ذلك فلا بد من الصراع، لذلك في الآية التي قبلها قال موسى لقومه: (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) وليس البداية، بل العاقبة للمتقين (قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا).

انتهى هذا الجزء من القصة بأن أهلك الله فرعون، ونصر الله موسى وقومه وخرجوا بآية عجيبة غاية في العظمة، وكان هذا الخروج من تحت قبضة فرعون، وإشهاد هؤلاء القوم ما حصل لفرعون، ورأوا أن رب ضعفاء لا يملكن أدوات للنصر، ينتصرون على من عنده كل أدوات

النصر، رب ضعيف غلب قويا ونجى بضعفه ما لم ينج مثله القوي بقوته، رأوا هذا المشهد، عاشوا هذا الجزء من القصة من ألها إلى آخرها، لما كانوا في وسطها (قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) ولما انتهت عرفوا أن الله عز وجل حكيم، وبين لهم أنه سبحانه وتعالى، ينقذهم ويخرجهم ويريهم كماله، لأنهم كان يمكن أن يهربوا من دون أن يلحقهم فرعون، كان يمكن أن يخرجوا من أرض يابسة وليس من بحر يضرب فيتحول إلى يابس، لكن أراد الله عز وجل أن يعلمهم قدرته وأن يريهم عظمته سبحانه وتعالى، وأن الجميع في قبضته، وأنه سبحانه وتعالى ينجي عباده ولو كان البحر أمامهم والعدو وراءهم، فالله يخرجهم من كل المضائق، فليؤمنوا بحكمته وتدبيره وقدرته.

لما رأوا هذا المشهد المفروض أن تكون النتيجة أن يجعلوا هذا اليوم من أيام الله في ذاكرتهم يدلهم على ربهم. يتداولون بينهم في كل ضيق يمرون فيه، ألم ينجنا الله من فرعون بصورة كانت غاية في العظمة؟ ألم نكن كدنا أن نهلك؟ كادوا أن يهلكوا! لأنه وصل بهم الحال من قرب فرعون أنهم أيقنوا بالهلاك، وأنهم لا بد أن فرعون سيتمكّن منهم، فما كان من موسى عليه السلام، وهو المأمور بأن يخرج في تلك الحال وبذاك الوضع إلا أن يقول لهم: (كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) فهم رأوا الضيق الذي وصلوا إليه وكيف كانت ألطاف الله لهم، فالمفروض أن تكون هذه ذاكرتهم ويحكي بعضهم لبعض، وينقل من عاش الحدث لمن وراءهم، ويبقوا يذكروا بعض عند كل ضيق يقعون فيه، ألم يلطف الله بنا ونحن في أضيق الأوضاع؟ ألم يكن فرعون متمكّنًا منّا؟ كيف أظهر لنا رب العالمين قدرته فأصبح البحر يابسة.

فتبقى القصة في أذهانهم ويبقون يتداولونها ويخرجون منها بنتائج تثبتهم وتساعدهم على أن يكملوا المسير ويستقيموا على ما أمرهم الله،

ولا يطغوا لأنهم رأوا نهاية الطاغي، وعرفوا أنه رغم انتفاش الباطل انتفاشًا عظيمًا على الحق، وطغيان أصحاب الباطل على الضعفاء، رغم هذا كله لكن يأتي أمر الله، وتأتي قدرة الله، وما أيسر ذلك على الله، فيغرقوا مكان ما نجا موسى عليه السلام. هذا البحر الذي أصبح يابسا، بأمر الله، ونجا من طريقه قوم موسى هو البحر الذي ابتلع أعداء الله، فكيف بعد هذا يطغون؟ ألم يروا بنفسهم نهاية هؤلاء الطغاة؟ كيف يركنون للذين ظلموا وهم قد رأوا ما يحصل لهم من فعل الله؟

إذن أيام الله هي تلك القية الكاملة التي مر بها الإنسان أو مر بها غيره، وعرفها الإنسان وعرف تفاصيلها وعرف الله من خلالها، عرف سنته سبحانه وتعالى، وسنن الله جديرة بأن تُعلم، جديرة بأن تُفهم، جديرة بأن نتداولها، جديرة بأن نتذكرها، لأن الله عز وجل جعل في الكون سننًا جارية، سواء في الأمور المادية أو في الأمور المعنوية، سواء في المسائل التي تتصل بأفعاله سبحانه وتعالى مع أهل الإيمان، أو أفعاله مع أهل الكفر.

الله له سنن؛ الليل والنهار، الإحياء والإماتة من سننه، وأيضًا أن يمدّ لمن أقبل على الباطل في باطله حتى إذا انتفش أخذه أخذ عزيز مقتدر، هذا من سننه. ابتلاء أهل الإيمان أهل الحق، بأهل الكفر والنفاق والباطل من سننه. أن يتسلط أهل الباطل على أهل الحق من سننه، لكن ما نهاية القصة؟ كيف تأتي الألطاف؟ كيف ينصر الله الحق ثم يجبر أهل الحق؟ من سننه أن أهل الباطل إذا أهانوا أهل الحق كفّ الله شر أهل الباطل وجبر قلوب أهل الحق بعطايا منه، بنصرة للحق، بألطاف تنزل على قلوبهم، بتثبيت منه سبحانه وتعالى، وهكذا لله سنن.

هذه أيام الله التي بها تعرف الله، فلنعد إلى أيام الله في حياتنا، وأيام الله يمكن أن يكون لها في تدبرها وتفكرها طرقتين:

- طريقة أن تفكر في **القصص التي مررت بها أنت نفسك في حياتك** (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) التي عشتها أنت، هناك أجزاء من حياتك كانت لها قصة لها بداية ولها نهاية، مثلا أصبت بمرض، الله يشفي جميع المسلمين، وكنت تشعر أنه لا أمل في الصحة، ومرت عليك أحوال من الضعف الشديد ما الله به عليم، ويأسك الخلق من الشفاء أو العلاج، وهذا ما نبتلى به في أحيان كثيرة، ثم وجدت رب العالمين قد رزقك الصحة والعافية، الصحة القلبية فاتجهت إلى دعائه ورجائه، التفت عن الخلق وطلبت رب العالمين بعد ما أزعجوك بالآراء والكلام والاختيارات والاقتراحات، تركت الجميع وتوكلت على رب العالمين فسخر الله لك أسبابًا، وأتت أسباب على يد الخلق أو من غير أسباب الخلق، فالله الشافي؛ يشفي بسبب أو بدون سبب، ثم بدأت تسترد صحتك، من فضله، وانتهى الموضوع نهاية كاملة حتى أنك لا تذكر أحداث الانتقال، كيف حصل الانتقال من المرض إلى الصحة؟ وكيف بعد أن كنت لا تقوى أن تقوم على قدميك، أصبحت تذهب وتأتي وتقضي شؤونك بنفسك. قصة حضرت أولها وآخرها ومررت بتفاصيلها، وعلمت قدرة الله، وعرفت عظمة الله، كيف تنسى أيام الله؟ كيف بعدها تعتمد على غير الله؟ وكيف بعدها تيأس من روح الله.

بل الواجب عليك أن تكون في الأرض متكلما متحدثا عن أيام الله، تحكي للخلق عن قدرة الله، تحكي للخلق ما يصنع الله سبحانه وتعالى،

وهو على كل شيء قدير، تبثّ الأمل في نفوس المرضى، وتذكرهم بقدرته عز وجل، وتقوّي في قلوبهم بالإيمان به والتوكل عليه.

ها هي قصة عشت أنت تفاصيلها، وعرفتها من البداية إلى النهاية، وعرفت سنة الله فيها، وهكذا..

مر عليك أحداث في حياتك ضعفت قدرتك المادية، قلّت مواردك، احتجت إلى شؤون والحياة عصبها المال، ضاق عليك، وسألت الله، ورجوت الله، والأمور في ظاهرها أنها تُغلق، ثم تجد أن الأمور، بفضل من الله، تتوسّع وتتحسّن حتى أننا نسى كيف ضاقت، بل وننسى كيف اتّسعت، لأننا نشعر كيف انتقلنا من الضيق إلى السعة؟ كلها بألطاف الله.

فلما تعيش مثل هذا الموقف في هذا الشهر أو في هذا العام، ويمر عليك موقف مثله مرة أخرى وتظهر لك حاجات ويضيق عليك الرزق أو تضيق عليك الصحة، لماذا لا تتذكر أيام الله التي مضت وكيف كانت ألطافه، وكيف كانت عطاياه سبحانه وتعالى، وكيف أن له سنة في خلقه. هكذا أحوالنا مع ربنا، أنه يشهدنا مواقف نعيشها من أولها إلى آخرها حتى تنتهي هذه القصة، ويعلمنا عنه سبحانه وتعالى. فالمرة القادمة، بعد أن تنتهي القصة الأولى وتعرف أن أولها ضيق ثم وأن نهايتها سعة، وأن الأمر يجري على ألطاف الله، وأن الملك لله، وأن الرزق بيد الله، وأن الصحة من عند الله، المرة القادمة ستستقيم أكثر، وسيزيد طلبك ويقوى رجاءك وتطمئن لله وتخاف ذنوبك، وأنت كلك ذاكرة، تحمل ذاكرة قوية، قد عوّدنا ربنا الإحسان، وقد فرج علينا كثيرا، كما فرجت علينا أولا فرج علينا تاليا.

شعور بالطمأنينة لله من ذكر أيام الله يؤدي إلى الاستقامة على أمر الله. وهذا تحمله في ذاكرتك، وتنقل لمن تعلم أنه ينفعه من ذريتك، من أحبتك

وأنت صادق في إرادة بيان عظمة الله، وبيان لطف الله، ولا تريد أن تمدح نفسك، إنما هو عز وجل الذي يستحق الثناء، الخلق ضعفاء، فقراء، عاجزين، وربنا هو القوي، هو الرزاق ذو القوة المتين عز وجل.

هذا نوع من أيام الله الذي يخصك، فلا تضعف ذاكرتك، ولا تفعل مثلما يفعل السفهاء الذين يقوون ذاكرة الأحزان ويبقون متذكرين ما وقع عليهم من نقص، أو ما وقع عليهم من آلام، وتجدهم كل يوم وكل ساعة وكلما حصل عليهم حدث يكتبون أحزانهم وآلامهم، وربما بالغوا في ذلك، وربما وصل بهم الأمر إلى كفر نعمة الله، لا تكن مثل هؤلاء السفهاء، تحمل وسائل التواصل من هذا الكلام الشيء الكثير المزعج الذي يشعرك أن الله لم يحسن إليهم ولم يعطهم، ولم يلطف بهم، نعوذ بالله من كفر نعماء الله، إنما املأ ذاكرتك بالقصة كاملة، وتذكر ما ظهر في هذه الأحداث التي عشتها ما لله من كمال، وتذكر أيام الله، هذا نوع يخصنا.

- يأتي نوع آخر من تذكر أيام الله وهي **أيام الله التي حصلت للأمم عموما**، سواء كان ما أخبرنا به رب العالمين في كتابه سبحانه وتعالى، أو ما نقله أهل التاريخ.

وهنا كأننا نقول من المهم دراسة التاريخ، وهذه الكلمة لا تعني أن ندرسه على إطلاقه، فنأخذ الغث والسمين، أو نأخذ المهم ونترك الأهم. والحقيقة أنه لا بد لمن يريد أن يعرف أيام الله أن يراعي الأهم فالمهم في تعلمه، وأن يبتعد عن الكذب الموجود في كثيرا كتب التاريخ من خرافات نسبت للأنبياء، أو خرافات حتى نسبت للأولياء وكذب عليهم من أن يجعلوا هذه مادة فيحشونها بالخرافات والكذب، ثم يأتي من ورائهم ويحول هذه المادة إلى قصة أو يحول هذه المادة إلى مواد مرئية، ويتاجرون بالتاريخ كثير من هذا المحشو يكون إما خرافات أو كذب،

وإما يكتب بعضهم التاريخ، وهو من الفساق، فيحشيه بالكلام عن المحرمات. وفي بلوى من البلاءات التي ابتليت بها هذه الأمة يتكلمون فيما جرى بين الصحابة، مثلا. وهذا ليس هو المقصود أبدا.

(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) يعني تعلم ما حصل للأمم السابقة. ذكرنا أن هناك نوعين: نوع أنت مررت به حياتك، تذكر وحلل وافهم أن هذه سنة الله، وكل مرة اجعل ما حصل لك كالمنارة لتزداد استقامة، والنوع الثاني أن تكون متعلما للتاريخ.

وفوائد القصص التاريخية جمة، قد أخبر الله عز وجل عنها في كتابه..

فوائد تذكّر أيام الله:

- ✔ منها تثبيت قلوب المؤمنين، كما قال عز وجل في سورة هود: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ). وكما قال الجنيد: الحكايات جند من جند الله، عز وجل، يقوي بها إيمان المؤمنين.

إذن نسمع قصص الأنبياء، نسمع ما حصل لهم، نرى ألطاف الله، نرى يوسف عليه السلام يفسر كل الأحداث بصورة أنها لطف من الله (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ)، فنتعلم كيف نفهم الأحداث الوقائع التي تقع علينا، نتعلم أيام الله لنثبت قلوبنا ونعرف أنها سنة ربنا.

- ✔ من فوائد دراسة التاريخ أنه سبيل إلى معرفة سير أهل الصلاح والاقتداء بهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)
- ✔ أيضا من فوائد دراسة التاريخ أنه سبيل لأخذ العبر والدروس التي نحن بصدد الكلام عنها فتصبح أيام الله ظاهرة أمامنا (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ).

- ✔ أيضا نؤكد أن دراسة التاريخ يوصل الإنسان لمعرفة السنن الكونية، سنن التمكين والنصر، ونهاية أهل البغي، ونهاية من يركن إلى الظلمة، وكيف ينصر الله الصادقين، المؤمنين ولو بعد حين، ولذلك رب العالمين، كما في سورة الأنبياء، يحكي لنا ما حصل للرسل واقوامهم، يقول عز وجل: (وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) وفي سبأ يقول: (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ).

هذا معناه أن معرفة التاريخ يؤدي إلى معرف السنن الكونية، يؤدي على معرفة كيف يعامل رب العالمين عباده، فهذا يجعلنا نهتم، وإن كان في دراسة التاريخ محاذير، لكن لو ابتدأنا بمعرفة قصص الأنبياء وسيرة النبي ﷺ والأحداث التي مر بها بشيء من التفصيل، ستكون بداية موفقة لمعرفة أيام الله. لا نعرفها بالإجمال، بل نحتاج أن نعرفها بالتفصيل، والله سمى القصص القرآن أحسن القصص لأنه حق صدق وليس من نسج الخيال.

وانظر لما نقرأ سورة الكهف والقصص التي وردت فيها، الأحداث التي مرت على أهلها، انظر كيف لما نتأمل في الفتية الذين آمنوا بربهم، كيف لما نتأمل في صاحب الجنتين، وما حصل له مع صاحبه من حوار وما كانت النتيجة، كيف لما نفكر في موسى عليه السلام والخضر (نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ) فما في كتاب الله من قصص وأخبار هذه أيام الله، تعلمها وافهمها فهي حق وصدق، ورب العالمين هو الذي أخبرنا بها، فكل تفاصيلها ودقائقها أخبرنا بها العليم الحكيم، وكل القصص التي ذكرت في القرآن وفي السنة ما هي إلا لفائدة، وكل القصص الموجودة في القرآن أريد بها أن تملأ ذاكرتك بأيام الله، فتزكي نفسك وتستقيم وتعرف أن الله يعامل خلقه بهذه الصورة. وفي كل الأحوال رب

العالمين أمر نبيه باستخدام هذه الطريقة فقال عز وجل: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).

هنا نفهم أن **تكوين واستعمال الذاكرة مما يساعد الإنسان على الاستقامة**. انظر وأنت تقرأ قصة أم موسى وهي تؤمر أن تلقي برضيعها صاحب الأيام المعدودة، تضعه في صندوق وتلقيه في اليمّ، ويكون هذا وقت ما تخاف عليه! فنرى الألطاف ونحن نسمع القصة (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) ما ألطف الله بعباده (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) فلنتصور مثل هذه الأحداث التي هي من أيام الله ونرى كيف يعامل الله عباده. وهنا يأتي هذا المعنى المهم، أن هذه الأيام نافعة وفيها آيات لكن لمن؟

(لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) وهذه خاتمة عجيبة، نحن سنتذكر أيام الله ونتذكر الأحداث التي حصلت لنا أو حصلت لغيرنا، لكن هذا التذكّر ينفع من؟ ينفع أناس لهم طبيعة معينة، هذا التذكّر يجعل الإنسان يستقيم إذا كان هو حامل نفسه على الصبر، وحامل نفسه على الشكر.

بمعنى أن الإنسان إذا نظر لأيام الله، ونظر على الوقائع واعتبر، لأن (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) أصحاب اللب هؤلاء هم المقصودين هنا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) نلاحظ أنه ليس صابر، بل صبّار بليغ الصبر.

وقد ذُكر أن الناس في الصبر ثلاثة: متصبّر وصابر وصبار، فالمتصبّر يصبر لله لكن مرة يصبر ومرة يجزع، والصابر من يصبر في الله ولله ولا يجزع لكنه ربما اشتكى، أما الصبّار فذلك الذي صبره في الله ولله وبعون من الله. هذا الصبّار كيف يصل إلى أن يصبر لله وفي الله وبعون من الله؟

يتذكر دائما أيام الله. بمعنى أنه سيقول أيام الله لا تخلو من نعمة أو نقمة، فهناك أيام تكون أيام امتحان، فيها عظيم البلاء، ويقول هذا البلاء العظيم لحكمة عظيمة؛ ليتبين الصادق من الكذاب، ويصبر نفسه ويقول في القرآن الله أخبرنا أن أصحاب الرسل يقولون: (حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ) وربنا يقول: (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من أقوامهم. فهناك أحوال يكون فهيا الأمر شديد وتكون المحنة عظيمة، فهذا الصبار يذكّر نفسه بأيام الله سواء الخاصة به أو التي سمعها في التاريخ وعرف صحتها فيصبّر نفسه بمثل هذه الأخبار. ولما ربنا يكشف الغمّة وتذهب الآلام ويأتي الخير يشغل نفسه بالشكر ولا يطغى، يستقيم كما أمر ولا يطغى ولا يركن.

وعلى كل حال الإيمان نصفان -كما ذكر أهل العلم- نصفه صبر ونصفه شكر، وقد روي موقوفا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الإيمان نصفان: نصفُ صبر، ونصف شُكر" فكأن هذه ركنين يُبنى عليها الإيمان.

والإنسان يحتاج الصبر في الإيمان أولا، لأن (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) لأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وفي كل مرة يصبّر نفسه بهذا الذي يتذكّره؛ يتذكّر أيام الله، يتذكّر كيف يحب الله أهل الإيمان وكيف يعينهم وكيف يساعدهم حتى على طاعته، فيصبر على الفرائض فلا يضيعها ويصبر عن محارم الله فلا يرتكبها، ويتذكر يوسف عليه السلام، ويتذكر كيف كان في موقف كل شيء كان مسهل له، ما قال يوسف هذه مرة وتنتهي، أبدا، إنما كان مثال العفة، فيتذكر يوسف عليه السلام ويتذكر أن هذه الأسباب التي تتوفر للفاحشة إنما هي اختبار، ويتذكر عفة يوسف عليه السلام كيف أن السجن أحب إليه مما يدعوه إليه هؤلاء النسوة، فيحصل منه صبر عن معصية الله.

يتذكر ما وقع على النبي ﷺ من أحداث كما في آل عمران، وما وقع على الصحابة من خسارة، وما وقع من دماء زكية قتلت في أحد، وما وقع على النبي ﷺ في سيرته العطرة فيصبر على الأقضية والقدر فلا يتسخط.

فبالصبر تكتمل لذة الدنيا والآخرة ونعيمها، والفوز والظفر لا يكون إلا على جسر الصبر كما أن لا أحد يصل إلى الجنة إلا على الصراط، قال عمر رضي الله عنه: "وجدنا خير عيش أدركناه بالصبر"، ولو تأملنا مراتب الكمال النفسي، التي يكتسبها الناس عموما، سنرى أن كلها مرتبط بالصبر، وأي نقصان يُذمّ عليه صاحبه يكون بعدم الصبر، الشجاعة صبر ساعة، العفة صبر ساعة، الجود صبر ساعة، الإيثار صبر ساعة، وكل كمال هو صبر ساعة، وأكثر أسقام البدن والقلب إنما تنشأ عن عدم الصبر. لا بد أن نتصور أن صح الأرواح والأبدان لا تكون بمثل الصبر، ويكفينا في هذا أن فيها معية الله، فإن الله مع الصابرين، إن الله يحب الصابرين، الله ينصر الصابرين، النصر مع الصبر.

لذلك نبقى دائما نذكر نفسنا في تربيتنا لنفسنا أن الصبر سبب حتى للانتفاع بالعلم، هو سبب للعلم، لما تصبر تتعلم، لما تصبر في تفكيرك تفهم، الصبر سبب للانتفاع، لأن (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) لكن لمن؟ (لِكُلِّ صَبَّارٍ) يصبر ويجعل هذه المادة التي تعلمها مادة تعينه على الصبر؛ أيام الله التي تعلمها تعينه على الصبر وأيضا تعينه على الشكر، كما أن أيام الله آيات (لِكُلِّ صَبَّارٍ)، كذلك هي آيات تعين الإنسان على الشكر، فإذا سمع الإنسان ما أنزل من البلاء على الأمم، يقول الحمد ويصبر، وإذا رأى ما أفاض الله به عليه من النعم يقول الحمد لله ويشكر، فالصبر والشكر عنوان المؤمن، وعرفنا لماذا تقدم الصبار على الشكور، الصبر كأنه من الإيمان كالرأس، والشكر لا يأتي إلا بالصبر.

فنسأل الله عز وجل أن يرزقنا ذاكرة مليئة بأيام الله، وأن ننتفع بهذه الذاكرة وأن تكون سببا لاستقامتنا، وأن تكون من صفتنا أننا صبارين شاكرين لنعمائه سبحانه وتعالى.